

# Effat University Repository

## "Hecuba Euripides". Transformations in the Behavior of Dramatic Personality",

Authors	KHALIL, MOHAMED
Citation	N/A
DOI	<a href="#">N/A</a>
Publisher	Department of Greek and Latin Studies - Cairo University
Download date	2025-05-12 06:05:53
Link to Item	<a href="http://hdl.handle.net/20.500.14131/1138">http://hdl.handle.net/20.500.14131/1138</a>

# 1 هيكاى يوريبيديس

## تحولات ومفاجآت

محمد خليل رشدي

مدرس اللغة اللاتينية وآدابها

كلية الآداب- جامعة أسيوط

لماذا كل هذا العويل والنحيب من أجل طروادة! لماذا لا يكون مقبولا أن تسقط طروادة، ويسقط معها من كان يحكمها!

لقد قبلت الأسرة المالكة أن تحتضن بينها هيليني الزوجة الخائنة، بل إن برياموس ملك طروادة قبل أن يحارب ملوك الإغريق مجتمعين. أما شعب طروادة فقد استجاب لنداء الخيانة وخضع لإرادة الخيانة والفساد.

من هنا يصبح سقوط طروادة أمرا حتميا، لكنه لن يكون طبيعيا. ونحن نعنى بذلك أن طروادة يجب أن تُدمر عن بكرة أبيها. سوف يتم قتل أو إعدام كل من ينتمي إلى الأسرة الحاكمة. أما شعب طروادة فلا بد أن يتم إبادته، وهذا أمرا طبيعيا ومن لا يجده كذلك فعليه أن يُحكّم عقله لا مشاعره.

إن ما يتبقى لنا بعد سقوط طروادة هو أن نفق على أطلالها ونحاول جاهدين أن نتبين ملامح من بقي من الأسرى على قيد الحياة، وعلينا أيضا أن نتبين ملامح تلك الوجوه التي تعلوها ابتسامة المنتصر.

هنا وعلى أنقاض طروادة ترقد الملكة هيكاى، زوجة برياموس ملك طروادة الذي كان قد قُتل من قبل. إن هيكاى ترقد جالسة بين من بقي من نساء طروادة وهي تجهل مصيرها ومصير من تبقى من أبنائها. إنها لم تعد ملكة، بل لم يعد هناك مملكة تحكمها. لقد سقطت طروادة وبدأت محاكمة من بقي من أسرة من كان يحكمها.<sup>1</sup>

من هنا يبدأ يوريبيديس مسرحيته التي تحمل اسم هيكاى.

ومن هنا يبدأ بحثنا الذي سنحاول فيه أن نناقش النقاط التالية:

---

<sup>1</sup> تقوم مسرحية ليوريبيديس على أسطورتين منفصلتين: تقديم بوليكسينا قربانا على قبر أخيلوس ومقتل بوليديوروس على يد الملك التراقي بوليميستور. لمراجعة المصادر الأسطورية لدراما هيكاى عند يوريبيديس أنظر مقدمة ترجمة مسرحية هيكاى: كروان (2016) 29-5.

1- ما الذي أراده يوربيديس من كتابة مسرحية هيكابي ورسمه لشخصها بملامح معينة كما أراد لها أن تبدو؟

2- كيف يمكن لنا أن نحلل شخصية هيكابي وتحولها المفاجئ من صورة الضحية إلى صورة الشخصية الساعية للانتقام؟

3- ما هو المغزى من النبوءة في المسرحية، وما هو الدور الذي تلعبه في مجريات الأحداث؟

4- ما هي أقوى مفاجأة أستطاع يوربيديس أن يرسمها ببراعة في مسرحية هيكابي؟

تبدأ مسرحية هيكابي تبدأ بالإعلان عن جريمتين. الأولى وقعت بالفعل ويرويها شبح الشخص الذي تم قتله، وهو بوليدوروس. أما الثانية فإنها تعبر عما سيقع في المستقبل من جريمة قتل والتي تشير إلى ذبح يوليوكسينا (أبيات 45-6).

أما هيكابي فإن حزنها على ابنتها التي سوف تُذبح على قبر أخيلليوس وإحساسها بمدى الظلم الواقع عليها، يجعلها تُعلن أمام أوديسيوس أن هيليني هي من يستحق العقاب.

Ἐκάβη: Ἐλένην νιν αἰτεῖν χοῖν τάφῳ προσφάγματα:

κείνη γὰρ ὤλεσέν νιν ἐς Τροίαν τ' ἄγει. (265-266)

هيكابي: وكان أجدر به أن يطلب أن تُذبح هيليني قربانا على قبره.

فتلك (الزانية) هي التي دمرته وهي التي جعلته يأتي إلى طروادة.<sup>2</sup>

إن هيكابي تطلب من أوديسيوس أن يقتل هيليني بدلا من يوليوكسيني. وكأنها بذلك تسعى لتحقيق العدالة، والتي قد نعتبرها عدالة كمية يمكن من خلالها إعادة الحق والتوازن بالنظر إلى من هو البريء ومن هو الجاني.<sup>3</sup>

لكننا قد نعلم أن هيليني ليست هي وحدها من يستحق العقاب. فمن وراء هيليني يقف باريس الذي اغواها وحرصها على الهروب من قصر زوجها الملك مينيلائوس.

ومن وراء هيليني وباريس تقف الأسرة الحاكمة بطروادة ومن ورائها يقف شعب طروادة الذي سواء كان قد بارك وجود هيليني في طروادة أم لا، لكنه في النهاية سيدفع الثمن غاليا بسقوط مدينته وتدميرها.

من هنا يصبح ما تطالب به هيكابي أمرا مرفوضا من خلال العدالة التي تطالب هيكابي نفسها بتطبيقها. لكن ربما يكون مفهوم العدالة لدى الملوك مغايرا تماما لمفهوم العدالة عند البسطاء من البشر. فالعدالة التي تنادي بها هيكابي هي التي تقتضي القصاص لما وقع في حق هيكابي الملكة وليس هيكابي المرأة الأسيرة. فبعد أن سقطت طروادة سقطت معها أُنفة من كانوا يدعون أنهم من أهلها. الأمر الذي يجعلنا نقف لنستمع إلى مرافعة شخصية تُعبر فيها ملكة طروادة عن ألمها لزوال مُلكها وتغلي في صدرها الكلمات لتخرج على لسانها في شكل

<sup>2</sup> رجعنا في ترجمة مسرحية هيكابي إلى اللغة العربية إلى ترجمة منيرة كروان. المركز القومي للترجمة. 2016.

<sup>3</sup> Love, (2006) 9.

لعنات تلقيها على من تسبب في ضياع ملكه. في حين أن الملكة لم تجد في صدرها ما تشفى به غليل شعب قتلته وأسرته الحرب التي جلبتها هي وأفراد القصر الملكي لشعب لم يتخذ قرارا بدخول تلك الحرب أو حتى رفضها. إن حوار هيكاى مع أوديسيوس، (9-245)، هو رحلة إلى ما سبق، عندما أنقذت حياته يعد أن كان قد تسلل إلى طروادة. إلا أنها تضع نفسها، كما يرى Schuren، بهذا الحوار في مقام أخلاقي أعلى من أوديسيوس المنتصر.<sup>4</sup>

لكن لعل هيكاى قد نسيت أنها لا تحاور شخصا عاديا، بل إن من تحاوره هو أوديسيوس الماكر. لقد استطاع أوديسيوس استخدام مكره في تلك اللحظة التي جمعته بهيكاى من قبل. أما الآن فقد حان وقت للملكة أن تستفيق عندما يُعلن لها أوديسيوس ببساطة أن ما فعله وقتها هو ما كان يجب عليه أن يفعله في ذلك الموقف:

Ὀδυσσεύς: πολλῶν λόγων εὐρήμαθ', ὥστε μὴ θανεῖν. (248)

أوديسيوس: لقد قلت كلمات كثيرة، حتى أهرب من عقوبة الموت.

إن رد أوديسيوس يمثل الصدمة بالنسبة لهيكاى الملكة التي لم تكن ولا زالت لا تدري أن الحرب خدعة، وأن أوديسيوس لم يقل وقتها ما قاله إلا لما كان يقتضيه الموقف وتفرضه ظروف الحرب. أما هيكاى فقد أثرت أن تدع نفسها بتصديقها لما قاله أوديسيوس. أي أن هيكاى تركت لمشاعرها الحكم على مدى مصداقية أوديسيوس ولكنها لم تُحْكَمْ عقلها في إدراك دقة الموقف الذي جمعها بأوديسيوس. هكذا أكملت هيكاى صورة أفراد القصر الملكي في طروادة. فمن قبل قرر باريس أن يأتي بهيلينى زوجة مينيلائوس الملك بسبب هوى اعترى قلب الأمير الشاب وخيانة زوجة مينيلائوس لزوجها، ثم قبول القصر الملكي بدون تردد أن يحتضن ويرعى هذه العاطفة المحرمة بعد أن غلب ملك طروادة نفسه حكم القلب على العقل. من هنا كان طبيعيا أن نرى هيكاى نفسها تعتقد أن ما فعلته مع أوديسيوس وعفوها عنه في الماضي كأنه نوع من حكمة ونبل الملوك. بيد أنه لم يكن سوى تصرفا يكشف عن غياب الحكمة وتسلط المشاعر المندفعة في اتخاذ أدق القرارات تجاه واحد من أهم أعداء طروادة، الذين صنعتهم طروادة نفسها، في وقت استحكمت فيه حلقات الحرب.

إن ما تستمر هيكاى في توجيهه لأوديسيوس من اتهامات توضح كيف أن هيكاى لا زالت غير قادرة على تحكيم عقلها، بل يكشف كيف أن الملكة تكيل الأمور بمكيالين، حيث تقول:

<sup>4</sup> Schuren (1980) 121-22.

## Ἐκάβη: οἱ τοὺς φίλους βλάπτοντες οὐ φροντίζετε, (256)

**هيكابى:** يا من تقومون بإيذاء أصدقائكم دون أن تتوقفوا لحظة للتفكير،

يبدو من الأبيات السابقة أن هيكابى نسيت أو تناست ما فعله باريس بمينيلاؤس عندما استضافه في قصره من قبل. أما أوديسيوس فهو يعتبر أن التضحية ببوليكسينى هي العدالة لما يحتله أخيلليوس من مكانة عالية:5 وأما هيكابى فإنها تحاول جذب الانتباه لموت بوليكسينى من أجل أن تشير إلى معاناتها الشخصية.6

## Ὀδυσσεύς: ἡμῖν δ' Ἀχιλλεύς ἄξιος τιμῆς, γύναι, (309)

**أوديسيوس:** وأخيلليوس بالنسبة لنا، يا سيدتي، يستحق التقدير،

لنا أن نلاحظ هنا أن مباركة أوديسيوس للتضحية بهيلينى أمرا طبيعيا لا يقلل من شأن أوديسيوس نفسه. أما بالنسبة لأوديسيوس فولائه ليس إلا للجيش فقط. من هنا فهو ليس شخصية فاسدة أو حتى ساخرة من أعدائه.7 وبما أن لكل فرد من أفراد عائلة برياموس مصيره الخاص بعد سقوط طروادة. من هنا يصبح من الطبيعي أن يكون مصير بوليكسينى الذبح على قبر أخيلليوس، حيث أن ما سيتم تقديمه كقربان لروح أخيلليوس لن يكون أقل من أحد أفراد عائلة برياموس. وقد نتفق مع الرأي القائل إن أوديسيوس لا يملك شخصية المتآمر الحقيقي ولكنه يبدو خطيبا مفوها يحاول تبرير ما تم الوصول إليه من قرار بقتل بوليكسينى. حتى عندما تخلى عن مساعدة هيكابى في إنقاذ ابنتها. لكن بوليكسينى استطاعت خداعة بإقدامها على الموت بشجاعة وثبات.8

## Πολυξένη: θανεῖν τε χρήζουσ'. (347)

**بوليكسينى:** ولكنني أريد أن اموت.

وهنا قد نطرح سؤالاً وهو لماذا لا يتم التضحية بهيكابى نفسها وهي زوجة ملك طروادة وأعلى في مرتبتها الملكية من بوليكسينى نفسها؟

<sup>5</sup> Worman (2002) 121.

<sup>6</sup> Shuren (1980) 69.

<sup>7</sup> Kastely (1993) 1037.

<sup>8</sup> Chong-Gossard (2008) 228.

والإجابة على هذا السؤال تكمن في أن بوليكسينى تعبر عن مستقبل طروادة وأمل أهلها في أن تعود وتقف من جديد بعد أن سقطت، كما أنها تمثل امتدادا للأسرة الحاكمة في طروادة ولذلك لا بد أن تموت. أما هيكاى فإنها تعبر عما كانت عليه طروادة من قوة ورخاء، أما الآن فإنها تعبر عما آلت إليه من هزيمة ودمار. إذا هيكاى قد تمثل لنا العلاقة بين ماضي طروادة القوية وحاضر طروادة المهزومة.

إلى هنا نستطيع أن ننبين مدى تطور الحدث الدرامي، ذلك التطور الذي لا يبدو للآلهة أي دور فيه. أي أنه لا يوجد مكان لما يسمى بالحمية الدينية في أمر التضحية ببوليكسينى.<sup>9</sup> لكن يمكن لنا أن نعتبر أن قبول بوليكسينى للموت وإقبالها عليه هو ما جعلها رمزا فريدا للبراءة، وهذا ما انطبع في قلب وعقل الجيوش الإغريقية، حيث أنها تحولت من مجرد إنسان حي إلى رمز للظهور والبراءة.<sup>10</sup> أي أن إقبال بوليكسينى على الموت جعلها تتحول من مجرد ضحية سلبية إلى شخصية بطولية.<sup>11</sup>

أما هيكاى فقد بدت وكأنها محارب يطلق سهامه فلا تصيب أي من أهدافها.<sup>12</sup> وهذا ما عبرت عنه هيكاى بعد أن فشلت في إقناع أوديسيوس بعدم ذبح ابنتها:

Ἐκάβη: καὶ ταῦτα μὲν δὴ νοῦς ἐτόξευσεν μάτην. (603)

هيكاى: تطيش سهام عقلي بلا جدوى.

وبعد فشل هيكاى في إقناع أوديسيوس بقتلها هي الأخرى مع ابنتها، تودع بوليكسينا أمها وداعا مؤثرا جعل بعض النقاد يرشح هذا المشهد كأفضل مشاهد المسرحية، مؤكداً أن الشاعر صاغ هذا المشهد بركة وبراعة متناهيتين.<sup>13</sup>

بينما كانت هيكاى تظن أن مصائبها قد انتهت بموت بوليكسينى، تظهر الخادمة ومعها بعض الرجال الذين يحملون جسد بوليديوروس ابن هيكاى الذي كان برياموس قد أرسله إلى بوليميستور ملك تراقيا ليحميه، باعتباره وريث عرش طروادة، وأرسل معه ذهباً كثيراً. إلا أن بوليميستور قتل بوليديوروس واستولى على

<sup>9</sup> Abrahamson (1952) 122.

<sup>10</sup> Kastely (1993) 1039.

<sup>11</sup> Conacher (1961) 6.

<sup>12</sup> Sullivan (2000) 54.

<sup>13</sup> توحى شجاعة بوليكسينا ببعض الأفكار الفلسفية عن الخير والشر والفضيلة، وتأثير التنشئة ونبل الأصل على شخصيات البشر (سطور 585-603). أنظر: كروان (2016) 15-16.

الذهب وألقى بجثة الصبي بوليديوروس في البحر حيث عثرت عليها الخادمة وأتت بها إلى هيكاىى التي لم تكن قد تمالكت نفسها بعد صدمة ذبح ابنتها بوليكسينى.

لنا أن نلاحظ أن من بين أول العبارات التي ألقها هيكاىى وهي تنعى مذهبولة موت ابنها كانت عبارة:

**Ἑκάβη:** ποῦ δίκᾱ ξένων; (714)

هيكاىى: أين حق الضيف (في الحماية)؟

كما أنها ترى في أجامنون القوة التي تحتاجها للانتقام لابنها المقتول:

**Ἑκάβη:** οὐκ ἄν δυναίμην τοῦδε τιμωρεῖν ἄτερ  
τέκνοισι τοῖς ἐμοῖσι. (748-9)

هيكاىى: ولكنى لن أتمكن من الانتقام لأولادي

من دون مساعدته.

**Ἑκάβη:** τοὺς κακοὺς δὲ τιμωρουμένη  
αἰῶνα τὸν σύμπαντα δουλεύειν θέλω. (755-6)

هيكاىى: إنني أرغب في الانتقام من

المجرمين وبعدها أقضي حياتي كلها أمة.

لقد وجدت هيكاىى ضالتها في أجامنون الذى سيمنحها القوة بموافقتة، على عكس ما قد كان يمكن أن يحدث لو كان أوديسيوس هو الحاضر.<sup>14</sup>

---

<sup>14</sup> Abrahamson (1952) 127.



نلاحظ أنه منذ أن تلقت هيكابي نبأ مصرع بوليدوروس وقد تحولت من حالة الضعف واليأس إلى حالة القوة والرغبة الدامية في الانتقام. الأمر الذي يجعلنا نتفق مع Reckford في أن مسرحية هيكابي تنقسم إلى نصفين مختلفين، بل ومتناقضين في اللهجة والوتيرة:

- الجزء الأول يسيطر عليه الحزن والخوف والخسارة وتسير فيه الأحداث ببطيء.
- الجزء الثاني تزداد فيه الحدة بشكل عنيف وتصيب الجمهور درجة من الإثارة تقف ورائها رغبة هيكابي في الانتقام.<sup>15</sup>

إن هيكابي تعلن لأجامنون السبب الرئيس الذي من أجله كان برياموس قد أرسل بوليدوروس ليكون تحت حماية بوليميستور:

Ἐκάβη: ἐνταῦθ' ἐπέμφθη πικροτάτου χρυσοῦ φύλαξ. (772)

هيكابي: لقد أرسله إليه ليحرس الذهب الملعون.

لعل ما يمكن أن يسمى بـ "عنصر المفاجأة" هو ما اعترى هيكابي من القوة فجأة ودفعها إلى التوسل لأجامنون أن ينتقم لها ممن خان الأمانة وتجراً على قتل ضيفه الذي لم يكن ينتظر تلك الخيانة من مضيفه:

Ἐκάβη: σύ μοι γενοῦ  
τιμωρὸς ἀνδρός, (789-90)

هيكابي: فلتساعدني

ولتنتقم لي من ذلك الرجل،

Ἐκάβη: κοινῆς τραπέζης πολλάκις τυχῶν ἐμοί,  
ξενίας τ' ἀριθμῶ πρῶτ' ἔχων ἐμῶν φίλων. (793-4)

---

<sup>15</sup> Reckford (1991) 30.

هيكابى: الذي كثيرا ما شاركنا الطعام في منزلي

ونال أحسن ضيافة وكنا نعتبره أفضل أصدقائنا.

لا شك أن الخيانة هي العنصر الرئيس في كل ما سبق. لقد سقطت طروادة بسبب خيانة باريس الضيف لمضيفه مينيلائوس، وضاع أمل طروادة وملكتها الأسيرة بسبب خيانة بوليميستور لضيفه بوليديوروس وقتله إياه.

**Ἐκάβη:** ἡμεῖς μὲν οὖν δοῦλοί τε κάσθενεῖς ἴσως:

ἀλλ' οἱ θεοὶ σθένουσι χῶ κείνων κρατῶν

Νόμος: νόμῳ γὰρ τοὺς θεοὺς ἡγούμεθα

καὶ ζῶμεν ἄδικα καὶ δίκαι' ὠρισμένοι. (798-801)

هيكابى: ربما أكون مجرد أمة لا حول لها ولا قوة

ولكن الأرباب أقوياء، وأقوى من هؤلاء الأرباب

القانون. فعن طريق القانون نعرف الأرباب

ونستطيع التفرقة بين الظلم والعدل أثناء حياتنا.

يوضح Kastely أن تضرع هيكابى يمكن اعتباره أقوى نقطة في الحبكة الدرامية خاصة عندما تشير للقانون<sup>16</sup>. "Νόμος" هنا يشير Kirkwood إلى أن هيكابى سقطت ضحية نتيجة تمسك أوديسيوس بالقانون من ناحية، ولتخلي أجاممنون عنه من ناحية أخرى. من هنا يصبح هذا التحول في شخصية هيكابى بمثابة فجيعتها الكبرى.<sup>17</sup> إذا، فالقانون الذى يحكم كل شيء، حتى الأرباب أنفسهم، كان قد تسبب في قتل بوليكسينى ومنع هيكابى من أن تدفع عنها الموت، والآن يصبح القانون هو ذاته الذى سيمنح هيكابى الحق في الانتقام من قاتل ابنها وسيجعل أجاممنون يتنحى جانبا ويفسح الطريق لهيكابى لتحقيق ما تصبوا إليه.

<sup>16</sup> Kastely (1993) 1042.

<sup>17</sup> Kirkwood (1947) 68.

إن أجامنون قد لا ينكر حق هيكاىي فيما تشكو من آلام وفيما تبدى من رغبة في الانتقام، لكن لا يبدوا لنا أنه قد يستطيع مساعدتها، وله بالطبع أسبابا تمنعه عن ذلك:

**Αγαμέμνων:** ἐγὼ σὲ καὶ σὸν παῖδα καὶ τύχας σέθεν,

Ἐκάβη, δι' οἴκτου χειρὰ θ' ἴκεσίαν ἔχω,

καὶ βούλομαι θεῶν θ' οὔνεκ' ἀνόσιον ξένον

καὶ τοῦ δικαίου τήνδε σοι δοῦναι δίκην,

εἴ πως φανείη γ' ὥστε σοί τ' ἔχειν καλῶς,

στρατῶ τε μὴ δόξαιμι Κασάνδρας χάριν

Θρηῆκης ἄνακτι τόνδε βουλευῶσαι φόνον. (850-6)

**أجامنون:** إنني شخصيا أشعر بالشفقة على ابنك وعلى حظك السيء

كما أشفق أيضا على يدك التي تتضرع إلى،

وأتمنى من أجل نصره الأرباب والعدالة أن

ينال ذلك الصديق عديم التقوى جزاء فعلته،

ولكن إذا فعلت ما تريدين فسوف أبدو على صواب

من وجهة نظرك، ولكن بالنسبة للجيش فسوف يهتمني

بأنني أردت قتل الملك التراقي بسبب حبي لكاساندر.

قد نختلف هنا مع بعض الدارسين الذين اعتبروا إشارة أجامنون لكاساندر تعبر عن أن أجامنون قد قرر السماح لهيكاىي أن تنتقم من بوليميستور فقط من أجل إرضاء كاساندر نفسها.<sup>18</sup> وهو الأمر الذي يراه

<sup>18</sup> Abrahamson (1952) 125-6. Rehm (2002)181.

Reckford على أنه معبرا عن فساد أجاممنون نفسه، وكأن كاساندرا تتحول لتصبح نوع من الرشوة لقائد الجيوش الإغريقية.<sup>19</sup>

وقد يكون سبب اختلافنا مع الرأي القائل بفساد أجاممنون، أو اعتبار كاساندرا هي دافعه لقبول قيام هيكاى بالانتقام من بوليميستور. حيث أننا نرى أن أجاممنون ليس في حاجة إلى إرضاء من أصبحت أسيرة لديه سواء كانت هذه الأسيرة هي كاساندرا أو هيكاى نفسها. فالיום يقف أجاممنون أمام هيكاى باعتباره ملك الملوك الإغريق وقائد الجيوش الإغريقية المنتصرة. وإن كان أجاممنون قد وافق على أن تنتقم هيكاى من بوليميستور فسيكون ذلك بدافع الشفقة تجاه هيكاى وكرهيته لخيانته لضيفه بوليدوروس. في هذا السياق، يرى Segal أن أجاممنون يصبح أكثر فردا رقة في الجيوش الإغريقية.<sup>20</sup>

من ناحية أخرى لعلنا لا ننسى أن تحالف الجيوش الإغريقية لم يكن ليتحد ضد طروادة إلا بسبب قضية لا تختلف عما فعله بوليميستور، وهي خيانة باريس لضيفه مينيلائوس. تلك الخيانة التي أسقطت طروادة ودمرتها وقضت على نسلها الملكي. من هنا يصبح ما ارتكبه بوليميستور استكمالا لما بدأه باريس من قبل.

كما أنه لا يستطيع أن ينتقم بنفسه من بوليميستور بسبب المقارنة بين مكانة بوليدوروس، التي تختلف تماما عن مكانة بوليميستور بالنسبة للجيوش الإغريقية:

**Αγαμέμνων:** Τὸν ἄνδρα τοῦτον φίλιον ἤγεῖται στρατός,

τὸν καθ'αὐτὸν δ' ἐχθρόν. (858-9)

أجاممنون: فالجيش يعتبر هذا الرجل صديقا له وحليفا

بينما القتل عدوه.

المذهل في الحوار الذي يدور بين هيكاى وأجاممنون أنها وهي الملكة الأسيرة التي أصبحت تنتمي إلى طبقة العبيد، نجدها تحرر أجاممنون قائد الجيوش الإغريقية من مخاوفه تجاه رد فعل الجيوش إذا ما علموا أنه قد ساعد بأي طريقة في قتل بوليدوروس:

<sup>19</sup> Reckford (1991) 63.

<sup>20</sup> Segal (1989) 17.

Ἐκάβη: ἐπεὶ δὲ ταρβεῖς τῷ τ' ὄχλῳ πλέον νέμεις,  
ἐγὼ σε θήσω τοῦδ' ἐλεύθερον φόβου. (868-9)

هيكابى: وحيث أنك تخشى حشود الجنود الذين تحكمهم  
فسوف أحرك من ذلك الخوف.

إن عرض هيكابى لأجامنون يمكن أن نعتبره نوع من التلاعب الساخر ولكنه يخفى في طبيعته تخبط يائس لجعل أجامنون لا يتدخل فيما تريد هيكابى القيام به.<sup>21</sup> حيث أن هيكابى تصارع ضد قوة أكبر منها وهو ما يحتاج إلى ثمن باهظ حتى تحقق ما تريد. من هنا فإن يوريببديس يعلن أنه يدرك تماما أن الفرد الذى يجب عليه أن يقضى حياته في معارضة قوة ضاربة لا تستجيب له وهو يحاول إرساء دعائم العدالة، فإنه قد يصل إلى حافة فقدان الأمل في أن يحقق ما يريد.<sup>22</sup>

كما يمكننا اعتبار أن تحول هيكابى المفاجئ للجميع لم يتمثل فقط في اعلان رغبتها في الانتقام من بوليميستور، لكنه تجسد في تحررها من عبودية الأسر وعودتها لتلعب دور الملكة من جديد. إن هيكابى تظهر بمظهر أرسقراطي وهي تدافع عن مكانتها بما تملكه من مبادئ كأنها تطالب بالعدالة الدينية والاجتماعية وحتى السياسية.<sup>23</sup> وكان هيكابى تكشف وهي في قاع العبودية عن نوع مخيف من الحرية والقوة.<sup>24</sup>

هذا ما يمكننا أن نراه في تحريرها لأجامنون، وكأنه قد تحول لعبد لها، من خوفه أن يشاركها في الانتقام من بوليميستور مخافة الجيوش الاغريقية التي لن ترضى بهذا الأمر. بل إنها تزيل عن أجامنون أي خوف من تلك الجريمة التي ستقع وتلزمه الصمت والابتعاد عنها:

Ἐκάβη: σύνισθι μὲν γάρ, ἦν τι βουλεύσω κακὸν  
τῷ τόνδ' ἀποκτείναντι, συνδράσης δὲ μή. (870-1)

هيكابى: ولكن لتحفظ سرى إذا ما خطت أمرا

<sup>21</sup> Sansone (2012) 122, Kastely (1993) 1042.

<sup>22</sup> Kastely (1993) 1046.

<sup>23</sup> Foley (2001) 285.

<sup>24</sup> Reckford (1991) 36.

ضد من قتل ابني دون أن تشاركني في تنفيذه.

على المستوى التراجيدي فإن هيكاى تمثل المرأة التي تستطيع أن تغير من خطتها الاستراتيجية أمام الغزاة من الرجال إذا ما اضطرت لذلك. بل إنها تستطيع تنفيذ ما تريده من الانتقام إذا ما أرادت ذلك.<sup>25</sup> لقد ألقى يوربيديس، من خلال الحوار بين أجاممنون وهيكاى، الضوء على الاختلاف بين الرجل والمرأة. فالرجل قد يستطيع أن يقتحم عالم المرأة ويشغل فيه المساحة التي يريد، أما المرأة فإنها لا تستطيع فعل ذلك إلا للضرورة. لكن في جميع الأحوال فإن الرجل لا يستطيع أن يدرك ما تفكر فيه المرأة.<sup>26</sup>

لقد كان لهيكاى جدالاً سابقاً مع أوديسيوس جعلها تقع في حيرة يائسة. لكن الرغبة في الانتقام تظهر لنا شخصية جديدة لهيكاى لم تظهر من قبل، فتأتى هيكاى الطامحة في الانتقام لكى تحطم هيكاى الملكة النبيلة التي ظهرت في البداية.<sup>27</sup> أما أجاممنون فإنه، كما يرى Kastely، على عكس أوديسيوس، يخشى الجيش. أي أنه قرر أن يغض بصره عما تنوى هيكاى أن تفعله لأنه كان يعلم أنه في حقيقة الأمر لا يستطيع أن يقدم لها شيء.<sup>28</sup> وكما كان موت بوليكسينى ضرورياً حتى يحدث ويكتمل الانهيار الأخلاقي لدى هيكاى. فقد كان موت بوليديوروس هو ما جعل الرغبة في الانتقام تتأجج بداخلها، وتسقط معه مكانتها كملكة تماماً مثلما سقطت طروادة من قبل.<sup>29</sup> أي أن اكتشاف جثة بوليديوروس كان بمثابة الصدمة التي أحدثت هذا التغيير الأخلاقي العنيف في هيكاى.<sup>30</sup>

لقد كان قرار هيكاى هو استدراج بوليميستور وطفليه إلى الخيمة حيث تجلس النساء الأسيرات، وقد استطاعت هيكاى استدراجه بعد أن أوهمته بأنها تحتفظ في الخيمة بثروة من كنوز طروادة وأنها ترغب في إعطائه تلك الثروة (1000-1021). في النهاية تتمكن بمعاونة النسوة الأسيرات من ذبح ولدى بوليميستور أمامه قبل أن تفقأ عينيه وهو مشلول الحركة.

لقد أصبح واضحاً مدى القوة التي استمدتها هيكاى من انتقامها ممن قتل ابنها، حيث وقفت ترقبه وهو يلهث وهو يبحث عنها في ثورة زاد من عنفها ذلك الظلام الذي خيم على عقله بعد أن كان ذبح طفليه هو آخر ما انطبع في عينيه الداميتين. لقد وقفت هيكاى المنتقمة تقول له:

<sup>25</sup> Chong-Gossard (2008) 11.

<sup>26</sup> Chong-Gossard (2008) 15.

<sup>27</sup> Kirkwood (1947) 67.

<sup>28</sup> Kastely (1993) 1039-40.

<sup>29</sup> Conacher (1961) 26.

<sup>30</sup> Conacher (1961) 20.

Ἑκάβη: ἄρασσε, φείδου μηδέν, ἐκβάλλων πύλας:

οὐ γάρ ποτ' ὄμμα λαμπρὸν ἐνθήσεις κόραις,  
οὐ παῖδας ὄψη ζῶντας οὐς ἔκτειν' ἐγώ. (1044-6)

هيكابى: هيا اضرب بقوة، ولا تتوقف، ولتعلق الأبواب

ولكنك لن ترى ثانية الضوء بعينيك

ولن ترى أولادك أحياء بعد أن قتلتهم أنا.

لقد أصبح واضحا أن هيكابى تتلذذ بانتقامها من بوليميستور وكأنها جعلت من انتقامها سلاحا نفسيا استعملته في الانتقام لنفسها ولأبنائها ولبرياموس ولأهل طروادة جميعا. من هنا نستطيع أن نقول أن هيكابى عانت أكثر من برياموس الذى مات بينما وقعت هي في الأسر وعانيت بعينها موت أبنائها.<sup>31</sup>

ونحن نتفق مع الرأي القائل بأن نقطة التحول في شخصية هيكابى من الشفقة والألم إلى القوة والانتقام كانت عند اكتشاف مقتل ابنها بوليدوروس. لقد تحولت هيكابى إلى نفس الوحش الذى اتهمت به بوليميستور من قبل، وظهر ذلك واضحا في قتلها لأبنائها.<sup>32</sup>

وبالرغم من أنه كان علينا أن نتوقع انتقام هيكابى لمصرع ابنها، لكن ربما لم نكن لنتوقع تلك الوحشية في الانتقام.<sup>33</sup> أما هيكابى نفسها فلم يعد يهمها سوى أنها جعلت بوليميستور يدفع لها ثمن جريمته:

Ἑκάβη: δίκην δέ μοι

δέδωκε. (1052-3)

هيكابى: لقد انتقم

منه.

<sup>31</sup> Due (2006) 118.

<sup>32</sup> Chong-Gossard (2008) 95, Faas (1984) 21.

<sup>33</sup> Kirkwood (1947) 62.

لنا أن نلاحظ أن التغيير المفاجئ لم يكن من نصيب هيكاى فقط، بل كان من نصيب بوليميستور الذي تحول من ملك كان يدعى النبل في السلوك إلى وحش كاسر يبحث عن فريسته التي إن أمسك بها فسيمزقها إربا ويطحن عظامها ويشرب من دمها حتى يرتوى ويشفى غليله:

**Πολυμήτωρ:** πᾶ πόδ' ἐπάξας

σαρκῶν ὀστέων τ' ἐμπλησθῶ,

θοίναν ἀγρίων τιθέμενος θηρῶν, (1070-2)

بوليميستور: صمتا، فإنني أسمع صوت خطوات

تلك النسوة المتسللة. ترى هل أقفز

عليهن حتى أمزق لحمهن وعظامهن،

يمكننا أن نلاحظ أنه بعد أن تمكنت هيكاى من تنفيذ انتقامها فإنها تعود إلى هدوها الذي تغلفه اللهجة الساخرة من بوليميستور الذي سقط في فخ الغضب وأصبح يبدوا كشخص مجنون يفتقر إلى المنطق. لكن المفاجآت لم تنتهي بعد، خاصة عندما نجد بوليميستور يعلن أمام أجاممنون، الذي جاء ليحكم بين الخصمين، أنه لم يرتكب جريمته إلا من أجل أجاممنون نفسه وحتى يضمن له أن بوليدوروس لن يشكل أي تهديد للإغريق في المستقبل. من هنا يعلن بوليميستور أن ما ارتكبه لم يكن سوى تعبيراً عملياً عن تحالفه مع أجاممنون وحرصه على سلامته:

**Πολυμήτωρ:** ἀνθ' ὅτου δ' ἔκτεινά νιν,

ἄκουσον, ὡς εὖ καὶ σοφῆ προμηθία.

ἔδεια μὴ σοὶ πολέμιος λειφθεὶς ὁ παῖς

Τροίαν ἀθροΐση καὶ ξυνοικίση πάλιν, (1136-9)

بوليميستور: لقد قتلت ذلك الابن. ولتسمع السبب الذي

جعلني أقتله حتى تعرف أني كنت حكيماً فيما فعلت.

لقد خشيت، إذا ما تركت عدوكم هذا على قيد الحياة،



أن يعيد إنشاء مدينة طروادة مرة أخرى ويعمرها بالسكان.

لا شك أن بوليميستور كان بالفعل حاد الذكاء ولكن ذلك لم يكمن في جريمته التي ارتكبها، بل كان في محاولته إيهام أجاممنون بأن الجريمة لم تحدث إلا من أجله. خاصة أن أجاممنون أصبح بالنسبة لبوليميستور القاضي الذي سيفصل في قضيته وينتقم له من هيكابي. وبعد أن يستمع أجاممنون إلى ما يدافع به بوليميستور، يأتي دور هيكابي في تبرير ما فعلته، وقد تحولت من الضعف إلى القوة وتحول المسرح إلى قاعة محكمة يبرر فيها الخصمين ما فعله كلا منهما ويحكم فيها القاضي أجاممنون ويصير فيها الجمهور هيئة من المحلفين.

يمكننا أن نلاحظ أن هيكابي في سياق تبريرها لما فعلت، فإنها تتحدث كملكة وتأخذ لهجتها شكل الخطاب السياسي، خاصة عندما تعلن أن البرابرة، الذي ينتمي إليهم بوليميستور، لا يمكن أن يكونوا أصدقاء للهيلانيين:34

Ἐκάβη: τὸ βάρβαρον γένοιτ' ἄν Ἑλλησιν γένος

οὐδ' ἄν δύναιτο. (1200-1)

هيكابي: ولكن فلتخبرني، يا أحقر البشر، كيف يمكن أن

يصبح جنس بربري صيقا للإغريق؟

لكننا نلاحظ أن هيكابي في مرافعتها كانت قد نست أن ما قالتها قد ينطبق على الطرواديين أنفسهم، بوصفهم جنسا من البرابرة الذين لم يكونوا فقط أصدقاء للهيلانيين ولكنهم ولا يزالوا أعداء للإغريق. لكنها في هذا السياق تلعب دورا سياسيا في الرد على بوليميستور الذي أراد أن يحرك في نفس أجاممنون النزعة السياسية باعتباره قائد الجيوش الإغريقية. ثم تستمر هيكابي في مرافعتها ضد بوليميستور، حيث تقول:

<sup>34</sup> لقد آمن الإغريق أنهم جنس متميز عن بقية البشر، ورغم إعجابهم ببعض الشعوب الأخرى التي أقاموا معها علاقات صداقة، فإنهم لم يروا عيبا في اتخاذ بعض من رجال ونساء هذه الشعوب "الصديقة" عبيدا وإماء لهم. إظن الإغريق أنهم متفوقون على جميع الشعوب التي لا تتحدث الإغريقية الذين أطلقوا عليهم لفظ برابرة (Barbaroi)، وأنهم يجب أن يقفوا من هذه الشعوب موقف السيد من العبد. من ناحية أخرى فقد ساد في العالم القديم عرف لم يشذ عن اتباعه جيش من الجيوش التي شنت الحروب. فقد جرت العادة قديما أنه في حالة هزيمة مدينة ما كان قائد الجيش المنتصر يصدر أوامره بقتل الرجال والشيوخ وأسرى النساء والأطفال. ولقد استمرت هذه العادة بممارستها الوحشية في بلاد الإغريق حتى في تلك الفترات التي شهت انتشار الأفكار الإنسانية وازدهار الديموقراطية. ولقد وضع الفلاسفة من الآراء ما يبرر هذه الوحشية وتلك النظرة العنصرية، فهي هو أرسطو يقول بالتفوق الطبيعي لبعض الأشخاص على غيرهم ولبعض الشعوب على جميع البشر. فالإغريق من وجهة نظره هم الذين يتمتعون بالإنسانية الكاملة والحقة، في حين أن الأجانب والبرابرة عبيد بطبيعتهم. والعبيد من وجهة نظره ليسوا سوى أداة أو آلة يسيرها مالكا كيفما يريد. كما حث أفلاطون الإغريق على الاتحاد في مواجهة البرابرة مطالبا إياهم بأن يضعوا نصب أعينهم ألا يقع واحد من الإغريق في العبودية، وجعل تلك القاعدة واجب على الأثينيين أن يلتزموا بها ويجعلوا بقية الإغريق يلتزمون بها أيضا. أنظر: كروان (2016) 22-23.

Ἑκάβη: ἄλλ' ἠνίχ' ἡμεῖς οὐκέτ' ἐσμὲν ἐν φάει —  
καπνῶ δ' ἐσήμην' ἄστν — πολεμίων ὕπο,  
ξένον κατέκτας σὴν μολόντ' ἐφ' ἐστίαν. (1214-6)

هيكابى: لكن عندما أفل نجمنا وبعدنا عن الأضواء

وغطى الدخان الذي أشعله الأعداء سماء المدينة،

عندئذ قتلت الضيف الذي أتى إلى قصرك.

بعد أن استمع أجاممنون إلى كلا من بوليميستور وهيكابى، يأتي حكمه صاعقا بالنسبة لبوليميستور الذي ظن أنه في موقف أقوى، وهو لا يزال ملكا، من هيكابى التي باتت مجرد عبدة أسيرة. فبعن أجاممنون قراره قائلا:

Ἀγαμέμνων: οὐτ' οὖν Ἀχαιῶν ἄνδρ' ἀποκτεῖναι ξένον,  
ἀλλ' ὡς ἔχης τὸν χρυσὸν ἐν δόμοισι σοῖς.  
λέγεις δὲ σαυτῶ πρόσφορ' ἐν κακοῖσιν ὦν.  
τάχ' οὖν παρ' ὑμῖν ῥάδιον ξενοκτονεῖν:  
ἡμῖν δέ γ' αἰσχροὺς τοῖσιν Ἑλλησιν τόδε. (1244-8)

أجاممنون: ليس من أجل خاطري ولا من أجل الأخيين

ولكن لكي تستحوذ على الذهب الموجود في قصرك،

ولكنك ندعى هذا حتى تتخلص من ورطتك الحالية،

وربما يكون قتل الضيف أمرا سهلا وبسيطا بالنسبة لكم،

ولكنه بالنسبة لنا نحن الإغريق فهذا أمر مشين.

إن قرار أجاممنون بالحكم لصالح هيكاى لا يضع نهاية للتغيرات والتحويلات التي توالى تباعا حتى هذه اللحظة، لكنه يؤدي إلى تحول مفاجئ في شخصية بوليميستور، الذي يتوعد كلا من هيكاى وأجاممنون بنهاية دموية تلحق بكل منهما، وكأن فقدان بوليميستور لبصره جعله يرى ما سيحدث في المستقبل.

فها هو يتنبأ بما سيحدث لهيكاى:

**Πολυμήτωρ:** κυνὸς ταλαίνης σῆμα, ναυτίλοις τέκμαρ. (1273)

بوليميستور: قبر كلبة بئسة، وسوف يكون علامة للبحارة.

نلاحظ أن النبوة المفاجئة من التنبؤ التي أصابت بوليميستور لم تصب هيكاى بأي خوف أو جزع، ولكنها تلقت تلك النبوءة بلهجة ساخرة تؤكد له أن جل ما يههما هو الانتقام منه وليحدث بعدها ما يحدث:

**Ἐκάβη:** οὐδὲν μέλει μοι σοῦ γέ μοι δόντος δίκην. (1274)

هيكاى: لا شيء يهمني سوى أنى انتقمت منك.

إن كلمات هيكاى توضح أن الانتقام من بوليميستور كان حتميا ومن خلاله تحققت العدالة.<sup>35</sup> لكن قيام هيكاى بقتل الأطفال الأبرياء انتقاما من بوليميستور من أجل أن تحقق لنفسها العدالة، هذا الفعل نفسه هو ما يظهر كيف أنها أصيبت بالعمى وهي تحقق العدالة بإيذاء الأبرياء. كأن هذا العمى أصبح حتميا في ظل ظروف غير عادلة، وهي بذلك لا تختلف عن أوديسيوس وأجاممنون.<sup>36</sup>

يبدو أن بوليميستور كان يتوقع أن تسخر منه هيكاى، لذلك قرر أن يلقي لها بنبوءته الثانية والأخيرة التي يتعلق جزء منها بمصير ابنتها، الوحيدة الباقية على قيد الحياة، كاساندر:

<sup>35</sup> Kastely (1993) 1046.

<sup>36</sup> Kastely (1993) 1047.

**Πολυμήστωρ:** κτενεῖ νιν ἢ τοῦδ' ἄλοχος, οἰκουρὸς πικρά. (1277)

بوليميستور: سوف تقتلها زوجة هذا الرجل، التي تحرس منزله بتفان.

**Πολυμήστωρ:** καὐτόν γε τοῦτον, πέλεκυν ἐξάρασ' ἄνω. (1279)

بوليميستور: (لأجامنون) وسوف تفعل بك نفس الشيء وهي ترفع بلطتها عاليا.

إن بوليميستور يلقي بنبوءته الأخيرة التي يؤكد فيها أن أجامنون نفسه سوف يلقي حتفه على يد زوجته كليتمنسترا بعد عودته إلى قصره في أرجوس. وكان بوليميستور الغاضب يلقي بالنبوءة التي تخص ما هو آت ويحل بذلك محل Deus ex Machina.<sup>37</sup> وكان الغضب وتطرف المشاعر والقدرة على التنبؤ يمكن أن يحولا الإنسان الفاني إلى نموذج للسلطة الإلهية.<sup>38</sup>

من ناحية أخرى يمكن القول أن تحول حالة هيكاى النفسية من الحزن إلى الغضب والرغبة في الانتقام يضاهاى في قوته تحول بوليميستور إلى ما يشبه العراف في تنبؤه بما سيقع من جرائم وتحولات رهيبه لكل من أجامنون وهيكاى في المستقبل.<sup>39</sup>

وقد يصاب المتفرج بالدهشة من تلك النبوءات التي تتزامن مع اقتراب نهاية المسرحية ورحيل الإغريق عن طروادة المدمرة، لأنه ربما كان يتوقع أن يكون للوجود الإلهي دورا ما في مجمل تلك الأحداث التي أخذت في التسارع بعد اقدام هيكاى على الانتقام من بوليميستور. أما يوريبديدس فإنه قد يبدو غير مهتم بما يمكن أن نطلق عليه الحتمية في الفعل أو التدخل الإلهي لإنهاء سلسلة مترابطة من الأحداث، لكنه في المقابل يضع احتمالات عديدة لما يمكن أن يحدث.<sup>40</sup>

ويظل التدخل الإلهي في مجمل الأحداث غامض ومبهم. ولا تظهر الأرباب عند يوريبديدس في مسرحية هيكاى كحقيقة مطلقة ولكنها ظهرت كلامح للإيمان الشخصي والنزعات التي تحدد التغيير في المشاعر والأخلاقيات لدى شخصياته المسرحية.<sup>41</sup> كما يمكننا القول أن الظهور الإلهي عند يوريبديدس قد يتضح من

<sup>37</sup> Schuren (1980) 93.

<sup>38</sup> Dunn (1996) 41. Yoon (2012) 24.

<sup>39</sup> Dunn (1996) 41.

<sup>40</sup> Love (2006) 13.

<sup>41</sup> Segal (1989) 10, 17.

خلال إعداد مراسم لائقة لدفن من مات من الأبرياء مثل بوليكسينا وبوليدوروس.<sup>42</sup> من ناحية أخرى يمكننا أن نقبل الرأي القائل أن الانتقام البشرى جاء ممثلاً لعدالة السماء على يد واحد من البشر.<sup>43</sup>

وقد يصبح المغزى الدرامي للمسرحية الذي يصل إليه المتفرج مع معاينته ما آلت إليه الأحداث هو كيفية تحايل الإنسان في استجابته وتعامله مع الشر. وأن يوربيديس لم يهتم بانتهاكات القانون البشرى ولكنه يهتم برد فعل المجتمع تجاه تلك الانتهاكات. فعندما يتقبل البشر تلك الانتهاكات فإن العدالة الإنسانية تموت، و تبقى القوة الفلسفية لمشكلة تطبيق العدالة كامنة في تعمد كل فرد إغفال مسؤوليته الشخصية عن أفعاله وإلحاق الأذى بالآخرين.<sup>44</sup>

من هنا تكون قد ضاعت أو تبخرت كل معانى الولاء والثقة والشرف، وحل بدلا منها أشياء أخرى تتمثل في التمسك بالثروة والقوة والانتقام.<sup>45</sup> أي أن كل فرد يعمل وفق دوافع محددة تتفق مع وحشيته المفرطة، والتي هي المصدر الطبيعي لكل أفعاله.<sup>46</sup> إذا، من يمكن أن يمثل العظمة الإنسانية في المسرحية؟ إنهم ليسوا الملوك الذين يملكون السلطة. لكن العظمة الإنسانية قد تتمثل في بوليدوروس الذى مات أو في هؤلاء الجنود المجهولين، الذين يبقوا جميعا على هامش الأحداث.<sup>47</sup> كل ذلك يحدث عندما يصبح الإنسان عبدا للانتقام.<sup>48</sup> حتى يبدو لنا أن الفضيلة تبقى بدون أن يتعلمها أحد، كما يصيب الفساد النفوس الصالحة وينهار السموات جاثيا.<sup>49</sup>

---

<sup>42</sup> Segal (1989) 21.

<sup>43</sup> Hall (2010) 81.

<sup>44</sup> Kastely (1993) 1040-1.

<sup>45</sup> Reckford (1991) 35.

<sup>46</sup> Abrahamson (1952) 123.

<sup>47</sup> Abrahamson (1952) 129.

<sup>48</sup> Kastely (1993) 1044.

<sup>49</sup> Reckford (1991) 33.

## الخاتمة

لا شك أن طروادة لم تسقط عندما تمكن الإغريق من اقتحامها وتدميرها، لكن طروادة كانت قد سقطت من قبل ذلك بأمد بعيد. لقد سقطت طروادة عندما اعتبرت الأسرة المالكة لها أن وجود هيلينى بينهم ليس جريمة ولا دليلاً على الخيانة.

لقد سقطت طروادة رغم ظن أهلها أنهم صامدون أمام حصار جيوش الإغريق لمدينتهم. وباتت طروادة تحمي الخيانة وتدافع عنها وأصبح دمارها أمراً حتمياً.

وبعد أن اقتحم الإغريق أسوار طروادة أصبح كل ما يحدث بعدها يكاد يكون عادلاً لكل من ينتمي إليها. سيكون من العدل أن يموت برياموس وتلحق به بوليكسينى، التي تذبح على قبر أخيلليوس. سيكون من العدل أن تقع كاساندرا وهيكاى فى الأسر. ثم تسقط الأقنعة عن الملوك الفاسدين حين يقرر بوليميستور قتل بوليديوروس، وحين تلهث هيكاى وهي تسعى للانتقام من بوليميستور، فتقتل ولديه أمام عينيه ثم تمنع فى انتقامها بأن تفتقأ عينيه.

إنه عالم الملوك الذي لم يعي ثقل ما يحمله على عاتقيه من مسؤوليات وكيف انه هو الذي يمثل عقل الدولة والحكمة التي لا بد أن يتحلّى بها حتى فى أحلك الظروف.

لكن الحكمة تغيب وتتأجج الرغبة وتسيطر الشهوة على النفوس البشرية. من هنا يصبح التحول فى السلوك الإنسانى هو ما يؤدى إلى اتخاذ القرار المفاجئ وهو ما يجعلنا نقف أمام ما يحدث فى حالة من الصدمة إزاء تلك التحولات وما يعقبها من نتائج.

وختاماً، نجيب على النقاط الأربعة التي أشرنا إليها فى مقدمة البحث وهي كالتالى:

1- إن يوربيديس يلقى الضوء فى مسرحية هيكاى على ما بعد سقوط طروادة وعلى ما يؤمن به الملوك من قوانين تحكم أفعالهم للمنتصر منهم والمهزوم. لقد عبر يوربيديس من خلال مسرحية هيكاى على ما وصل إليه حال أثينا بعد الحرب البيلوبونيسية، وما آل إليه حال الإنسان فى عصر تطورت فيه علوم مختلفة مثل الطب والفلك والأنثروبولوجيا والفيزياء. كل ذلك ساهم فى تفويض إيمان البشر بالقانونين البشرى والإلهى.<sup>50</sup>

<sup>50</sup> Reckford (1991) 38.

إلى جانب ذلك تلوح الإرادة الإلهية في الأفق وكأنها نوع من الانتقام الدموي الذي لا يختلف عن الإرادة البشرية التي تسعى وراء نفس الفعل. فبينما كان المشاهد يظن أن العويل والنحيب هما مشهد النهاية الذي تصاحبه سحب الدخان من مدينة طروادة المهزومة، إلا أنه وجد نفسه أمام بداية جديدة تمثلت في المواجهة بين المنتصر والمهزوم – كما كانت المواجهة بين كلا من أوديسيوس وأجاممنون وبين هيكابي- ثم بين رموز الخيانة قبل وبعد سقوط طروادة – كما تمثل ذلك في المواجهة بين هيكابي وبوليميستور.

فتارة تظهر تلك الإرادة في التضحية ببوليكسيني، ثم تعود للظهور في رغبة هيكابي في الانتقام من بوليميستور من ناحية وتتحى أجاممنون عن طريق تلك الرغبة من ناحية أخرى. إلى أن تظهر جليا في الأفق من خلال نبؤه بوليميستور الملوثة بنفس الرغبة الشرسة في الانتقام.

إن الانتقام في دراما هيكابي يصبح هو التحول الغير متوقع، والذي يؤدي بدوره إلى إحداث المفاجئة لما ينتج عنه من احداث. ويمكننا القول إن دراما هيكابي تتحول إلى المزيد من الألم حيث يقف المشاهد شاهدا على كل ذلك الألم. فكل ذلك يصبح بلا معنى لو لم يؤدي إلى أي نهاية.<sup>51</sup> لكننا قد نختلف مع الرأي القائل أن مسرحية هيكابي لا تتعامل مع الشفقة من المنظور الإنساني العادي. لكنها تتعامل مع صورة العدو المهزوم.<sup>52</sup> وذلك لأن دراما هيكابي أظهرت أيضا مفهوم الشفقة لدى المنتصر في الحرب، حيث أبرز يوريبديدس هذا المفهوم من خلال أفعال كلا من أوديسيوس وأجاممنون تجاه الجانب المهزوم في الحرب والذي تمثل في بوليكسيني وهيكابي.

يمكننا أن نجد نوع من التشابه بين مقتل بوليكسيني وبوليديوروس وبين مقتل ولدي بوليميستور. وقد يأتي هذا التشابه بسبب أن كل هؤلاء القتلى، وهم الأبناء، كانوا يمثلون الحلقة الأخيرة التي قد تصل الماضي بالمستقبل. هكذا تأتي الهزيمة الحضارية التي يصاحبها فساد النفس البشرية، فتسقط معها القيم الإنسانية. من ثم تصبح العودة إلى القيم الإنسانية دربا من المستحيل، ويتمسك الانسان برغباته ومبرراته فيما أقدم عليه من قبل من أفعال وفي ما هو عازم على ارتكابه من أعمال لا تختلف عما صنعه في ماضيه، بل إنها قد تتعداه لتصل به إلى أن يفقد هويته ويكتسب ملامح غريبة ترسم له مستقبله وتشوه ماضيه.

2- لقد قام يوريبديدس برسم ملامح هيكابي، في بداية المسرحية، على أنها الأسيرة العجوز الضعيفة التي لا تقوى حتى على أن تسير بمفردها. فكانت تخاطب الأسيرات من نساء طروادة وتقول:

<sup>51</sup> Dunn (1996) 110.

<sup>52</sup> Tzanetou (2012) 131.

**Ἑκάβη:** ἄγρετ' ὀρθοῦσαι τὴν ὁμόδουλον,  
Τρωάδες, ὑμῖν, πρόσθε δ' ἄνασσαν: (60-1)

هيكابى: أيتها الطروديات، فلتقن رفيفتك في العبودية،

التي كانت ملكة عليكن في السابق، على أن أستطيع الوقوف.

وهكذا أيضا كان حالها وهي تفقد الأمل في اقناع أوديسيوس بأن يحول دون ذبح بوليكسينى على قبر أخيلليوس:

**Ἑκάβη:** ἄλλ', ὦ φίλον γένειον, αἰδέσθητί με,  
οἴκτιρον: (286-7)

هيكابى: ولكن، أيها الصديق المبجل فلتهتم بأمرى

ولترحمنى.

لقد كانت شخصية هيكابى تتميز بجاذبية خاصة عبر الأجيال لكل من يريد أن يدلل على مدى قسوة الأقدار وتحول الإنسان من السعادة إلى الشقاء يشكل قاس وصادم.<sup>53</sup>

لكن الشفقة والرحمة لا مكان لهما بين أنقاض نفس هيكابى التي أصابها الدمار كما أصاب طروادة، وكما أصاب كل من كان له علاقة بحرب طروادة نفسها سواء كان منتصرا أو مهزوما.

وهذا ما قام به يوريبديدس عندما قام برسم الملامح الجديدة في شخصية هيكابى، والتي قد تبدو للوهلة الأولى وكأنها نوع من الصدمة الأخلاقية بالنسبة للمشاهد الذي لم يكن يتوقع هذا التحول المفاجئ في شخصية هيكابى الضعيفة. خاصة عندما أعلنت هيكابى أنه لم يعد يهمها ما قد يحدث لها طالما أنها انتقمت لنفسها:

**Ἑκάβη:** οὐδὲν μέλει μοι σοῦ γέ μοι δόντος δίκη. (1274)

<sup>53</sup> كروان (2016) 8.



هيكابى: لا شيء يهمني سوى أنى انتقم منك.

وقد تكون هيكابى تنعى في داخلها شيئا آخر غير ابنها بوليدوروس، وهذا ما كانت قد أعلنته من قبل:

Ἐκάβη: ἐνταῦθ' ἐπέμφθη πικροτάτου χρυσοῦ φύλαξ. (772)

هيكابى: لقد أرسله إليه ليحرس الذهب الملعون.

فالغرض من إرسال بوليدوروس لم يكن من أجل الحفاظ على حياته من خطر الحرب فقط، بل كان من أجل الحفاظ على ثروة من لا يهمهم إلا النجاة بأنفسهم وثوراتهم إذا ما سقطت أوطانهم.<sup>54</sup>

3- لقد بدت نبؤه بوليميستور وكأنها رغبة أخرى في الانتقام، تغلفها غطرسة الملك الذي امتلك السلطة والمال، بل وظن أن نفوذه قد يشمل حلفائه من الإغريق وعلى رأسهم أجامنون. وهذا ما قد يصيب المشاهد بالحيرة. فلقد ألقى بالنبوءة هذا الملك الذي يلهث ويصرخ وعيناه تدميان، ساعيا وراء الانتقام ممن يظن أنها خدعته. فتختفى النبوءة حتى يتخلى عنه حليفه ولا يحكم له بالحق في القصاص من عدوته هيكابى. حينها فقط تنطلق النبوءة التي ربما كان بوليميستور يعلمها من قبل، لكنه لم ينطق بها إلا كتعبير أخيرا عن الغطرسة التي تدفع صاحبها لتهديد خصمه حتى وإن كان لا يستطيع تنفيذ ما يطمح إليه.

4- لقد استطاع يوربيديس أن يجعل من التحول في الفعل أداة تمكنه من اخراج المشاهد من طور الشفقة الذي سيطر عليه منذ بداية المسرحية إلى طور الذهول من قوة المفاجئة الناتجة عن التحول الجذري في سلوك نفس الشخصية التي كانت هي نفسها الباعث على احساسه بالشفقة من قبل.

وقد يكون هذا التحول في الفعل هو السبب الرئيس في انعدام وجود الدور الإلهي المؤثر والمباشر في أحداث المسرحية منذ بدايتها إلى نهايتها. وهذا ما يمكن أن نعتبره أقوى مفاجآت المسرحية التي لم يتوقعها المشاهد نفسه.

<sup>54</sup>Pedrick (2007) 109.

قد لا يختلف ما فعله برياموس مع بوليدوروس عما ظهر بعد قرون في أوروبا، وهو ما يشير إليه المؤلف من خلال تحليل فرويد لما كان يعمد إليه الآباء بقيامهم بتوزيع ثرواتهم على الأبناء وهم على قيد الحياة من أجل متابعة ما سيتم عمله بهذه الثروات. وهذا ما كان قد بدأ بالظهور بالفعل في أوروبا في القرن التاسع عشر. وقد أعطى التصرف الآباء الفرصة للحكم على كيفية تصرف الأبناء في هذه الثروات، الأمر الذي كان يجعل الآباء قادرين على إعادة توزيع تلك الثروات في حالة إساءة أي من الأبناء في استخدامها

## قائمة المراجع

### أولاً: المصادر

Euripides. *Euripidis Fabulae*, vol. 1. Gilbert Murray. Oxford. Clarendon Press, Oxford. 1902.

### ثانياً المراجع العربية:

حليم سيف، رأفت 1992: يوريبديدس. هيكابي. سلسلة من المسرح العالمي. العدد 256. الكويت.

كروان، منيرة 2016: هيكابي. المركز القومي للترجمة.

### ثالثاً: المراجع الأجنبية

Abrahamson, E. L. 1952. "Euripides' Tragedy of *Hecuba*", *TAPhA*, Vol. 83, 120-129.

Chong-Gossard, J. H. 2008., "Gender and Communication in Euripides' Plays. Between Song and Silence", In Boter, G. J & Others. Monographs on Greek and Roman Language and Literature. *Mnemosyne Supplements*, Vol 296, 1-263.

Conacher, D. J. 1961., "Euripides' *Hecuba*", *AJPh*, Vol. 82, No. 1, 1-26.

Dunn, F. M. 1996. *Tragedy's End. Closure and Innovation in Euripidean Drama*. Oxford University Press.

Due, C. 2006. *The Captive Woman's Lament in Greek Tragedy*. University of Texas Press.

Faas, E. 1984. *Tragedy and After. Euripides, Shakespeare and Goethe*. Queen's University Press.

Foley, H. P. 2001. *Female Acts in Greek Tragedy*. Princeton University Press.

Hall, E. 2010. *Suffering under the Sun*. Oxford University press.

- Kastely, J. L. 1993., "Violence and Rhetoric in Euripides' *Hecuba*", *PMLA*, Vol. 108, No. 5, 1036-49.
- Kirkwood, G. M. 1947., "Hecuba and Nomos", *TAPhA*, Vol. 78, 61-68.
- Love, H. 2009. *Introductions and Translations to the Plays of Sophocles and Euripides*. Vol. 1. Cambridge Scholars Press.
- Pedrick, V. 2007. *Euripides, Freud, and the Romance of Belonging*. John Hopkins University Press.
- Rehm, R. 2002. *The Play of Space. Spatial Transformation in Greek Tragedy*. Princeton University Press.
- Sansone, D. 2012. *Greek Tragedy and the Invention of Rhetoric*. Wiley-Blackwell.
- Schuren, L. 1980. *Shared Storytelling in Euripidean Stichomythia*. Leiden-Boston.
- Segal, C. 1989., "The Problem of the Gods in Euripides' *Hecuba*", *Materiali e discussioni per l'analisi dei testi classici*, 22, 9-21.
- Sullivan, S. D. 2000. *Euripides' Use of Psychological Terminology*. Queen's University Press.
- Tzanetou, A. 2012. *City of the Suppliants. Tragedy and the Athenian Empire*. University of Texas Press.
- Worman, N. 2002. *The Cast of Character. Style in Greek Literature*. University of Texas Press.
- Yoon, F. 2012. *The Use of Anonymous Characters in Greek Tragedy. The Shaping of Heroes*. Leiden. Boston.